ثم دخلت سنة إحدى ومائتين

ذكر ولاية منصور بن المهدي ببغداد

وفي هذه السنة أراد أهل بغداد أن يبايعوا المنصور بن المهدي بالخلافة، فامتنع عن ذلك، فأرادوه على الإمرة عليهم، على أن يدعو للمأمون بالخلافة، فأجابهم إليه[1].

وكان سبب ذلك ما ذكرناه قبل، من إخراج أهل بغداد علي بن هشام من بغداد، فلما اتصل إخراجه من بغداد بالحسن بن سهل سار من المدائن إلى واسط، وذلك أول سنة إحدى ومائتين، فلما هرب إلى واسط تبعه محمد بن أبي خالد بن الهندوان، مخالفاً له، وقد تولى القيام بأمر الناس، وولّى سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب الغربي، ونصر بن حمزة بن مالك الجانب الشرقي، وكان ببغداد منصور بن المهدي، والفضل بن الربيع، وخزيمة بن خازم، وقدم عيسى بن محمد بن أبي خالد من الرقة من عند طاهر في هذه الأيام، فوافق أباه على قتال الحسن بن سهل، فمضيا ومن معهما إلى قرية أبي قريش قريب واسط، ولقيهما في طريقهما عساكر الحسن في غير موضع، فهزماهم[2].

ولما انتهى محمد إلى دير العاقول أقام به ثلاثاً، وزهير بن المسيب مقيم بإسكاف بني الجنيد، عاملاً للحسن على جُوخى، وهو يكاتب قوّاد بغداد، فركب إليه محمد وأخذه أسيراً، وأخذ كل ماله وسيّره أسيراً إلى بغداد، وحبسه عند أبيه جعفر، ثم تقدم محمد إلى واسط، ووجّه محمد ابنه هارون من دير العاقول إلى النيل، وبها نائب للحسن، فهزمه هارون وتبعه إلى الكوفة.

ثم سار المنهزمون من الكوفة إلى الحسن بواسط، ورجع هارون إلى أبيه وقد استولى على النيل، وسار محمد وهارون نحو واسط، فسار الحسن عنها ونزل خلفها،

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٤٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٨٥)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٩٢).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٤٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٨٥).

وكان الفضل بن الربيع مختفياً كما تقدم إلى الآن، فلما رأى أنّ محمداً قد بلغ واسطاً طلب منه الأمان، فأمّنه وظهر، وسار محمد إلى الحسن على تعبئة، فوجّه إليه الحسن قوّاده وجنده فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب محمد بعد العصر، وثبت محمد حتى جُرح جراحات شديدة، وانهزموا هزيمة قبيحة، وقتل منهم خلق كثير وغنموا مالهم، وذلك لسبع بقين من شهر ربيع الأول.

ونزل محمد بفم الصلح، وأتاهم الحسن فاقتتلوا، فلما جنّهم الليل رحل محمد وأصحابه، فنزلوا المبارك، فأتاهم/ الحسن فاقتتلوا، فلما جنّهم الليل ارتحلوا، حتى أتوا جبُّل فأقاموا بها[1]. ج٥/١٨١/ط

ووجّه محمد ابنه عيسى إلى عُرنايا فأقام بها، وأقام محمد بجُرجرايا، فاشتدت جراحات محمد فحمله ابنه أبو زنبيل إلى بغداد، وخلف عسكره لستٍ خلون من ربيع الآخر، ومات محمد بن أبي خالد، فدفن في داره سراً. وأتى أبو زنبيل خُزيمة بن خازم، فأعلمه حال أبيه، وأعلم خُزيمة ذلك الناس، وقرأ عليهم كتاب عيسى بن محمد إليه، يبذل فيه القيام بأمر الحرب مقام أبيه، فرضوا به وصار مكان أبيه، وقتل أبو زنبيل زهير بن المسيب من ليلته ذبحه ذبحاً، وعلّق رأسه في عسكر أبيه، وبلغ الحسن بن سهل موت محمد، فسار إلى المبارك فأقام به، وبعث في جُمادى الآخرة جيشاً له، فالتقوا بأبي زنبيل بفم الصراة فهزموه، وانحاز إلى أخيه هارون بالنيل، فتقدم جيش الحسن إليهم فلقوهم، فاقتتلوا ساعة، وانهزم هارون وأصحابه، فأتوا المدائن، ونهب أصحاب الحسن النيل ثلاثة أيام وما حولها من القرى.

وكان بنو هاشم والقوّاد، حين مات محمد بن أبي خالد قالوا: نصيِّر بعضنا خليفة ونخلع المأمون، فأتاهم خبر هارون وهزيمته، فجدّوا في ذلك، وأرادوا منصور بن المهدي على الخلافة فأبى، فجعلوه خليفة للمأمون ببغداد والعراق، وقالوا: لا نرضى بالمجوسي ابن المجوسي الحسن بن سهل[2].

وقيل: إنّ عيسى لما ساعده أهل بغداد على حرب الحسن بن سهل علم الحسن أنه لا طاقة له به، فبعث إليه، وبذل المصاهرة، ومائة ألف دينار، والأمان له ولأهل بيته

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٤٦ ـ ٥٤٨) مطوّلاً.
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٤٨، ٥٤٩).

ولأهل بغداد، وولاية أي النواحي أحب، فطلب كتاب المأمون بخطه، وكتب عيسى إلى أهل بغداد: إني مشغول بالحرب عن جباية الخراج، فولّوا رجلاً من بني هاشم، فولّوا منصور بن المهدي، وقال: أنا خليفة أمير المؤمنين المأمون حتى يقدم، أو يولي من أُحب، فرضي به الناس[١].

وعسكر منصور بكلواذى، وبعث غسان بن عباد بن أبي الفرج إلى ناحية الكوفة، فنزل بقصر ابن هبيرة، فلم يشعر غسان إلا وقد أحاط به حُميد الطوسي، فأخذه أسيراً، وقتل من أصحابه، وذلك لأربع خلون من رجب[٢].

وسيّر منصور بن المهدي محمد بن يقطين في عسكر إلى حُميد، فسار حتى أتى كوثى، فلم يشعر بشيء حتى هجم عليه حُميد ـ وكان بالنيل ـ فقاتله قتالاً شديداً، وانهزم ابن يقطين، وقتل من أصحابه وأسر، وغرق بشر كثير، ونهب حُميد ما حول كوثى من القرى، ورجع حُميد إلى النيل، وابن يقطين أقام بنهر صرصر، وأحصى عيسى بن محمد بن أبي خالد من في عسكره، وكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفاً بين فارس وراجل، فأعطى الفارس أربعين درهماً والراجل عشرين درهماً[٣].

ذكر أمر المتطوعة بالمعروف

وفي هذه السنة تجردت المتطوعة للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[٤].

وكان سبب ذلك: أنّ فساق بغداد والشُّطار آذوا الناس أذى شديداً، وأظهروا الفسق، وقطعوا الطريق، وأخذوا النساء والصبيان علانية، وكانوا يأخذون ولد الرجل وأهله فلا يقدر أن يمتنع منهم، وكانوا يطلبون من الرجل أن يقرضهم أو يصلهم، فلا يقدر على الامتناع، وكانوا ينهبون القرى لا سلطان يمنعهم ولا يقدر عليهم؛ لأنه كان يغريهم وهم بطانته/ ، وكانوا يمسكون المجتازين في الطريق، ولا يُعدي عليهم أحد، وكان الناس معهم

ج٥/١٨٢/ط

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٤٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٩٢).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٥٠)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٩٢).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٥٠).
(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٥١)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٨٥)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٩٢)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٢٢).

في بلاء عظيم، وآخر أمرهم أنهم خرجوا إلى قطربل، وانتهبوها علانية، وأخذوا العين[١] والمتاع والدواب، فباعوها ببغداد ظاهراً، واستعدى أهلها السلطان، فلم يعدهم، وكان ذلك آخر شعبان.

فلما رأى الناس ذلك قام صلحاء كل ربض ودرب، ومشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: إنما في الدرب الفاسق والفاسقان إلى عشرة، وقد غلبوكم وأنتم أكثر منهم، فلو اجتمعتم لقمعتم هؤلاء الفساق، ولعجزوا عن الذي يفعلونه، فقام رجل، يقال له: خالد الدريوش، فدعا جيرانه وأهل محلته على أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأجابوه إلى ذلك، فشد على من يليه من الفساق والشطار فمنعهم وامتنعوا عليه وأرادوا قتاله فقاتلهم، فهزمهم وضرب من أخذه من الفساق وحبسهم، ورفعهم إلى السلطان، إلا أنه كان لا يرى أنْ يغير على السلطان شيئاً، ثم قام بعده رجل من الحربية يقال له: سهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان ـ ويكنى: أبا حاتم ـ فدعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل بالكتاب والسنة، وعلق مصحفاً في عنقه، وأمر أهل محلته ونهاهم، فقبلوا منه، ودعا الناس جميعاً: الشريف والوضيع من بني هاشم وغيرهم، فأتاه خلق عظيم، فبايعوه على ذلك، وعلى القتال معه لمن خالفه، وطاف ببغداد وأسواقها[٢].

وكان قيام سهل لأربع خلون من رمضان، وقيام الدريوش قبله بيومين أو ثلاثة، وبلغ خبر قيامهما إلى منصور بن المهدي، وعيسى بن أبي خالد، فكسرهما ذلك؛ لأن أكثر أصحابهما كان الشطار ومن لا خير فيه، ودخل منصور بغداد[٣].

وكان عيسى يكاتب الحسن بن سهل في الأمان، فأجابه الحسن إلى الأمان له ولأهل بغداد، وأن يعطي جنده وأهل بغداد رزق ستة أشهر إذا أدركت الغلة، ورحل عيسى، فدخل بغداد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال وتفرقت العساكر، فرضي أهل بغداد بما صالح عليه، وبقي سهل على ما كان عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٤].

---

(١) العين: أي الذهب والفضة.

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٥١، ٥٥٢)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٨٥)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٩٢، ٩٣)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٢٢).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٥٣)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٢٢).

(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٥٣)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٨٥) مختصراً.

ذكر البيعة لعلي بن موسى عليه السلام بولاية العهد

في هذه السنة جعل المأمون علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولي عهد المسلمين والخليفة من بعده، ولقبه: الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر جنده بطرح السواد ولبس الثياب الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق، وكتب الحسن بن سهل إلى عيسى بن محمد بن أبي خالد، بعد عوده إلى بغداد يعلمه: أنّ المأمون قد جعل علي بن موسى ولي عهده من بعده، وذلك أنه نظر في بني العباس، وبني علي، فلم يجد أحد أفضل ولا أورع ولا أعلم منه، وأنه سماه: الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم، وأمره بطرح السواد ولبس الخضرة، وذلك لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين[1].

وأمر محمداً أنْ يأمر من عنده من أصحابه والجند والقواد، وبني هاشم بالبيعة له، ولبس الخضرة، ويأخذ أهل بغداد جميعاً بذلك، فدعاهم محمد إلى ذلك، فأجاب بعضهم، وامتنع بعضهم، وقال: لا تُخرج الخلافة من ولد العباس، وإنما هذا من الفضل بن سهل، فمكثوا كذلك أياماً وتكلم بعضهم، وقالوا: نولي بعضنا ونخلع المأمون، فكان أشدهم فيه منصور وإبراهيم ابنا المهدي[2]/ . ج٥/١٨٣/ط

ذكر الباعث على البيعة لإبراهيم بن المهدي

وفي هذه السنة في ذي الحجة خاض الناس في البيعة لإبراهيم بن المهدي بالخلافة، وخلع المأمون ببغداد، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من إنكار الناس لولاية الحسن بن سهل والبيعة لعلي بن موسى، فأظهر العباسيون ببغداد أنهم قد كانوا بايعوا لإبراهيم بن المهدي لخمس بقين من ذي الحجة، ووضعوا يوم الجمعة رجلاً، يقول: إنا نريد أن ندعو للمأمون ومن بعده لإبراهيم، ووضعوا من يجيبه بأننا لا نرضى إلا أن تبايعوا لإبراهيم بن المهدي بالخلافة، ومن بعده لإسحاق بن موسى الهادي، وتخلعوا المأمون،

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٥٤)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٨٥)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٩٣، ٩٤)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٢٢)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٠٣).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٥٤، ٥٥٥)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٨٥، ٦٨٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٩٤).

ففعلوا ما أمروهم به، فلم يصلِّ الناس جمعة وتفرقوا، وكان ذلك لليلتين بقيتا من ذي الحجة من السنة[١].

ذكر فتح جبال طبرستان والديلم

في هذه السنة افتتح عبد الله بن خُرداذبه والي طبرستان البلاذر، والشيزر، من بلاد الديلم، وافتتح جبال طبرستان، فأنزل شهريار بن شروين عنها[٢].

وأشخص مازيار بن قارن إلى المأمون، وأسر أبا ليلى ملك الديلم[٣].

ذكر ابتداء أمر بابك الخرمي

وفيها تحرك بابك الخرمي في الجاويدانية، أصحاب جاويدان بن سهل صاحب البذ، وادّعى: أنّ روح جاويدان دخلت فيه، وأخذ في العبث والفساد[٤].

وتفسير جاويدان الدائم الباقي، ومعنى خرم: فَرْج، وهي مقالات المجوس، والرجل منهم ينكح أمه وأخته وابنته، ولهذا يسمونه: دين الفَرْج، ويعتقدون مذهب التناسخ، وأنّ الأرواح تتنقل من حيوان إلى غيره.

ذكر ولاية زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية

وفي هذه السنة سادس ذي الحجة توفي أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية، وكانت إمارته خمس سنين ونحو شهرين، وكان سبب موته: أنه حدد على

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٥٥)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٨٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ١٠٠)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٢٢، ٢٣) مختصراً.

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٥٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٨٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ١٠٠)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٢٣)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٠٣).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٥٦)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٢٣)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٠٣).

(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٥٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٨٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ١٠٠)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣١٧).

كل فدان في عمله ثمانية عشر ديناراً كل سنة، فضاق الناس لذلك وشكا بعضهم إلى بعض، فتقدم إليه رجل من الصالحين اسمه: حفص بن عمر الجزري مع رجال من الصالحين، فنهوه عن ذلك، ووعظوه، وخوّفوه العذاب في الآخرة، وسوء الذكر في الدنيا، وزوال النعمة، فإن الله تعالى اسمه وجل ثناؤه ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[1]. فلم يجبهم أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية المذكور إلى ما طلبوا، فخرجوا من عنده إلى القيروان، فقال لهم حفص: لو أننا نتوضأ للصلاة ونصلي، ونسأل الله تعالى أن يخفف عن الناس؟ ففعلوا ذلك، فما لبث إلا خمسة أيام؛ حتى خرجت قرحة تحت أذنه، فلم ينشب أن مات منها وكان من أجمل أهل زمانه.

ولما مات ولي بعده أخوه زيادة الله بن إبراهيم، وبقي أميراً رخيّ البال، وادعاً والدنيا عنده آمنة.

ثم جهّز جيشاً في أسطول البحر، وكان مراكب كثيرة إلى مدينة سردانية، وهي للروم فعطب بعضها بعد أن غنموا من الروم، وقتلوا كثيراً، فلما عاد من سلم منهم أحسن إليهم زيادة الله/ ووصلهم. فلما كان سنة سبع ومائتين خرج عليه زياد بن سهل المعروف: بابن الصقلبية ،وجمع جمعاً كثيراً،وحصر مدينة باجة ،فسيَّر اليه زيادة الله العساكر فأزالوه عنها ،وقتلوا من وافقه على المخالفة[2]. ج٥/١٨٤/ط

وفي سنة ثمان ومائتين نقل إلى زيادة الله أنَّ منصور بن نصير الطُّنبذي يريد المخالفة عليه بتونس، وهو يسعى في ذلك، ويكاتب الجند، فلما تحققه سيّر إليه قائداً اسمه: محمد بن حمزة في ثلثمائة فارس، وأمره أن يخفي خبره، ويجد السير إلى تونس، فلا يشعر به منصور، حتى يأخذه فيحمله إليه، فسار محمد ودخل تونس، فلم يجد منصوراً بها، كان قد توجّه إلى قصره بطنبذة، فأرسل إليه محمد قاضي تونس، ومعه أربعون شيخاً يقبحون له الخلاف، وينهونه عنه، ويأمرونه بالطاعة، فساروا إليه واجتمعوا به وذكروا له ذلك، فقال منصور: ما خالفت طاعة الأمير، وأنا سائر معكم إلى محمد،

(١) سورة: الرعد، الآية: ١١.

(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ١٩٧)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٢/ ٢٤) و(٢٢/ ١٠٧)، وذكره ابن عذاري في «البيان المغرب» (١/ ٩٦)، وذكره ابن الأبار في «الحلّة السيراء» (١/ ١٦٣)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٢٠١ ـ ٢١٠ هـ) (٦)، وذكره ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» (٢/ ١٦٩).

ومن معه إلى الأمير، ولكن أقيموا معي يومنا هذا، حتى نعمل له ولمن معه ضيافة، فأقاموا عنده، وسيّر منصور لمحمد ولمن معه الإقامة الحسنة الكثيرة من الغنم، والبقر، وغير ذلك من أنواع ما يؤكل، فكتب إليه، يقول: إنني صائر إليك مع القاضي والجماعة، فركن محمد إلى ذلك، وأمر بالغنم فذبحت، وأكل هو ومن معه، وشربوا الخمر.

فلما أمسى منصور سجن القاضي ومن معه، وسار مجداً فيمن عنده من أصحابه سراً إلى تونس، فدخلوا دار الصناعة ـ وفيها محمد وأصحابه ـ فأمر بالطبول فضربت، وكبّر هو وأصحابه، فوثب محمد وأصحابه إلى سلاحهم، وقد عمل فيهم الشراب، وأحاط بهم منصور ومن معه، وأقبلت العامة من كل مكان، فرجموهم بالحجارة واقتتلوا عامة الليل، فقتل من كان مع محمد ولم يسلم منهم إلا من نجا إلى البحر، فسبح حتى تخلص وذلك في صفر، وأصبح منصور، فاجتمع عليه الجند، وقالوا: نحن لا نثق بك، ولا نأمن أن يخليك زيادة الله، ويستميلك بدنياه، فتميل إليه، فإن أحببت أن نكون معك فاقتل أحداً من أهله ممن عندك! فأحضر إسماعيل بن سفيان بن سالم بن عقال ـ وهو من أهل زيادة الله ـ فكان هو العامل على تونس، فلما حضر أمر بقتله. فلما سمع زيادة الله الخبر سيّر جيشاً كثيفاً، واستعمل عليهم: غلبون، واسمه: الأغلب بن عبد الله بن الأغلب ـ وهو وزير زيادة الله ـ إلى منصور الطنبذي، فلما ودعهم زيادة الله تهدّدهم بالقتل إن انهزموا، فلما وصلوا إلى تونس خرج إليهم منصور فقاتلهم، فانهزم جيش زيادة الله عاشر ربيع الأول، فقال القواد الذين فيه لِغَلبون: لا نأمن زيادة الله على أنفسنا، فإن أخذت لنا أماناً حضرنا عنده، وفارقوه واستولوا على عدة مدن فأخذوها، منها: باجة، والجزيرة، وصطفورة، ومنير، والأربس وغيرها، فاضطربت إفريقية، واجتمع الجند كلهم إلى منصور، وأطاعوه لسوء سيرة زيادة الله كانت معهم.

فلما كثر جمع منصور سار إلى القيروان، فحصرها في جُمادى الأولى وخندق على نفسه، وكان بينه وبين زيادة الله وقائع كثيرة، وعمّر منصور سور القيروان فوالاه أهلها، فبقي الحصار عليه أربعين يوماً، ثم أن زيادة الله عبى أصحابه، وجمعهم وسار معهم الفارس والراجل، فكانوا خلقاً كثيراً، فلما رآهم منصور راعه ما رأى وهاله، ولم يكن يعرف ذلك من زيادة الله لما كان فيه من الوهن، فزحف منصور إليه بنفسه أيضاً، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم منصور ومن معه، ومضوا هاربين، وقتل منهم خلق كثير، وذلك منتصف جُمادى الآخرة، وأمر زيادة الله أن ينتقم من أهل القيروان بما جنوه من مساعدة منصور والقتال معه، وبما تقدم أولاً من/ مساعدة عمران بن مجالد لما قاتل أباه

إبراهيم بن الأغلب، فمنعه أهل العلم والدين، فكف عنهم وخرب سور القيروان، ولما انهزم منصور فارقه كثير من أصحابه الذين صاروا معه، منهم: عامر بن نافع، وعبد السلام بن المفرج إلى البلاد التي تغلبوا عليها.

ثم إنّ زيادة الله سيّر جيشاً سنة تسع ومائتين إلى مدينة سَبيبة، واستعمل عليهم: محمد بن عبد الله بن الأغلب، وكان بها جمع من الجند الذين صاروا مع منصور، عليهم عمر بن نافع، فالتقوا في العشرين من المحرم واقتتلوا، فانهزم ابن الأغلب وعاد هو ومن معه إلى القيروان، فعظم الأمر على زيادة الله، وجمع الرجال وبذل الأموال، وكان عيال الجند الذين مع منصور بالقيروان، فلم يعرض لهم زيادة الله، فقال الجند لمنصور: الرأي أن تحتال في نقل العيال من القيروان لنأمن عليهم، فسار بهم منصور إلى القيروان، وحصر زيادة الله ستة عشر يوماً، ولم يكن منهم قتال، وأخرج الجند نساءهم وأولادهم من القيروان، وانصرف منصور إلى تونس، ولم يبق بيد زيادة الله من إفريقية كلها الا: قابس، والساحل، ونفزاوة، وطرابلس، فإنهم تمسكوا بطاعته، وأرسل الجند إلى زيادة الله: أن ارحل عنا وخلِّ إفريقية، ولك الأمان على نفسك ومالك، وما ضمَّه قصرك. فضاق به وغمه الأمر، فقال له سفيان بن سوادة: مكّني من عسكرك لأختار منهم مائتي فارس، وأسير بهم إلى نفزاوة، فقد بلغني: أنّ عامر بن نافع يريد قصدهم، فإن ظفرت كان الذي تحب، وإنْ تكن الأخرى عملت برأيك، فأمره بذلك فأخذ مائتي فارس وسار إلى نفزاوة، فدعا برابرها إلى نصرته، فأجابوه وسارعوا إليه، وأقبل عامر بن نافع في العسكر إليهم، فالتقوا واقتتلوا، فانهزم عامر ومن معه، وكثر القتل فيهم، ورجع عامر إلى قسطيلية، فجبى[1] أموالها ليلاً ونهاراً في ثلاثة أيام، وساروا عنها، واستخلف عليها من يضبطها، فهرب منها أيضاً خوفاً من أهلها، فأرسل أهل قسطيلية إلى ابن سوادة وسألوه أن يجيء إليهم، فسار إليهم ملك قسطيلية وضبطها.

وقد قيل: إنّ هذه الحوادث المذكورة سنة ثمان وتسع ومائتين، إنما كانت سنة تسع وعشر ومائتين.

طنبذة: بضم الطاء المهملة وسكون النون، وضم الباء الموحدة، وبذال معجمة وآخره هاء. و**صطفورة**: بفتح الصاد وسكون الطاء، وضم الفاء وسكون الواو وآخره هاء. و**سبيبة**: بفتح السين المهملة، وكسر الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان، وفتح الباء

(١) جبى: جمع المال.

الثانية الموحدة وآخره هاء. **ونفزاوة**: بالنون والفاء الساكنة، وفتح الزاي وبعد الألف واو ثم هاء.

ذكر ما فتحه زيادة الله بن الأغلب من جزيرة صقلية

وما كان فيها من الحروب إلى أن توفي

في سنة اثنتي عشرة ومائتين جهّز زيادة الله جيشاً في البحر، وسيّرهم إلى جزيرة صقلية، واستعمل عليهم: أسد بن الفرات، قاضي القيروان، وهو من أصحاب مالك، وهو مصنف الأسدية في الفقه على مذهب مالك، فلما وصلوا إليها ملكوا كثيراً منها، وكان سبب إنفاذ الجيش: أنّ ملك الروم بالقسطنطينية استعمل على جزيرة صقلية بطريقاً اسمه: قسطنطين، سنة إحدى عشرة ومائتين، فلما وصل إليها استعمل على جيش الأسطول إنساناً رومياً اسمه: فيمي، كان حازماً شجاعاً، فغزا إفريقية وأخذ من سواحلها تجاراً، ونهب وبقي هناك مُديدة، ثم إنّ ملك الروم كتب إلى قسطنطين يأمره بالقبض على فيمي، مقدم الأسطول، وتعذيبه، فبلغ الخبر إلى فيمي فأعلم أصحابه فغضبوا له، وأعانوه على المخالفة، فسار في مراكبه إلى صقلية، واستولى على مدينة سرقوسة/ .

ج٥ / ١٨٦/ط

فسار إليه قسطنطين فالتقوا واقتتلوا، فانهزم قسطنطين إلى مدينة قطانية، فسيّر إليه فيمي جيشاً، فهرب منهم فأخذ وقتل، وخوطب فيمي بالملك، واستعمل على ناحية من الجزيرة رجلاً اسمه: بلاطه، فخالف على فيمي وعصى، واتفق هو وابن عم له اسمه: ميخائيل - وهو والي مدينة بلرم - وجمعا عسكراً كثيراً، فقاتلا فيمي، وانهزم، فاستولى بلاطه على مدينة سرقوسة.

وركب فيمي ومن معه في مراكبهم إلى إفريقية، وأرسل إلى الأمير زيادة الله يستنجده ويعده بملك جزيرة صقلية، فسيّر معه جيشاً في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة ومائتين، فوصلوا إلى مدينة مازر من صقلية، فساروا إلى بلاطه الذي قاتل فيمي، فلقيهم جمع للروم فقاتلهم المسلمون، وأمروا فيمي ومن معه أن يعتزلوهم، واشتد القتال بين المسلمين والروم، فانهزمت الروم وغنم المسلمون أموالهم ودوابهم، وهرب بلاطه إلى قلورية فقتل بها.

واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة، ووصل إلى قلعة تعرف: بقلعة

الكراث وقد اجتمع إليها خلق كثير، فخدعوا القاضي أسد بن الفرات أمير المسلمين وذلوا له، فلما رآهم فيمي مال إليهم وراسلهم أن يثبتوا ويحفظوا بلدهم، فبذلوا لأسد الجزية وسألوه أن لا يقرب منهم، فأجابهم إلى ذلك، وتأخر عنهم أياماً، فاستعدوا للحصار ودفعوا إليهم ما يحتاجون إليه، فامتنعوا عليه، وناصبهم الحرب وبث السرايا في كل ناحية، فغنموا شيئاً كثيراً، وافتتحوا عمراناً كثيرة حول سرقوسة، وحاصروا سرقوسة براً وبحراً، ولحقته الأمداد من إفريقية، فسار إليهم والي بلرم في عساكر كثيرة، فخندق المسلمون عليهم، وحفروا خارج الخندق حفراً كثيرة، فحمل الروم عليهم، فسقط في تلك الحفر كثير منهم فقتلوا، وضيق المسلمون على سرقوسة، فوصل أسطول من القسطنطينية فيه جمع كثير.

وكان قد حلّ بالمسلمين وباء شديد سنة ثلاث عشرة ومائتين هلك فيه كثير منهم، وهلك فيه أميرهم أسد بن الفرات، وولي الأمر على المسلمين بعده محمد بن أبي الجواري، فلما رأى المسلمون شدة الوباء ووصول الروم، تحملوا في مراكبهم ليسيروا، فوقف الروم في مراكبهم على باب المرسى، فمنعوا المسلمين من الخروج.

فلما رأى المسلمون ذلك أحرقوا مراكبهم وعادوا، ورحلوا إلى مدينة ميناو فحصروها ثلاثة أيام، وتسلموا الحصن، فسار طائفة منهم إلى حصن جرجنت، فقاتلوا أهله، وملكوه وسكنوا فيه، واشتذت[1] نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا، ثم ساروا إلى مدينة قصريانة ومعهم فيمي، فخرج أهلها إليه، فقبّلوا الأرض بين يديه، فأجابوه إلى أن يملكوه عليهم، وخدعوه ثم قتلوه، ووصل جيش كثير من القسطنطينية مدداً لمن في الجزيرة، فتصافوا هم والمسلمون، فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير، ودخل من سلم قصريانة.

وتوفي محمد بن أبي الجواري أمير المسلمين، وولي بعده زهير بن غوث. ثم إنّ سريّة المسلمين سارت للغنيمة، فخرج عليها طائفة من الروم فاقتتلوا وانهزم المسلمون، وعادوا من الغد ومعهم جمع العسكر، فخرج إليهم الروم وقد اجتمعوا وحشدوا، وتصافوا مرة ثانية، فانهزم المسلمون أيضاً، وقتل منهم نحو ألف قتيل، وعادوا إلى معسكرهم، وخندقوا عليهم، فحصرهم الروم، ودام القتال بينهم، فضاقت الأقوات على المسلمين،

(١) اشتذّت: انجذبت، أو اندهشت.

فعزموا على بيات الروم، فعلموا بهم، ففارقوا الخيم[١]، وكانوا بالقرب منها.

فلما خرج المسلمون لم يروا أحداً، وأقبل عليهم الروم من كل ناحية، فأكثروا القتل فيهم وانهزم الباقون، فدخلوا ميناو ودام الحصار عليهم؛ حتى أكلوا الدواب والكلاب، فلما سمع من في مدينة جُرجنت من المسلمين ما هم عليه هدموا المدينة، وساروا إلى/ مازر، ولم يقدروا على نصرة إخوانهم، ودام الحال كذلك إلى أن دخلت سنة أربع عشرة ومائتين، وقد أشرف المسلمون على الهلاك[٢]، وإذ قد أقبل أسطول كثير من الأندلس، خرجوا غزاة، ووصل في ذلك الوقت مراكب كثيرة من إفريقية مدداً للمسلمين، فبلغت عدة الجميع ثلثمائة مركب، فنزلوا إلى الجزيرة، فانهزم الروم عن حصار المسلمين، وفرّج الله عنهم، وسار المسلمون إلى مدينة بلرم، فحصروها وضيقوا على من بها، فطلب صاحبها الأمان لنفسه ولأهله ولماله، فأجيب إلى ذلك، وسار في البحر في بلاد الروم.

ج٥ / ١٨٧/ط

ودخل المسلمون البلد في رجب سنة ست عشرة ومائتين، فلم يروا فيه إلا أقل من ثلاثة آلاف إنسان، وكان فيه لما حصروه سبعون ألفاً وماتوا كلهم، وجرى بين المسلمين أهل إفريقية، وأهل الأندلس، خلف ونزاع، ثم اتفقوا، وبقي المسلمون إلى سنة تسع عشرة ومائتين، وسار المسلمون إلى مدينة قصريانة، فخرج من فيها من الروم، فاقتتلوا أشد قتال، ففتح الله على المسلمين وانهزم الروم إلى معسكرهم، ثم رجعوا في الربيع فقاتلوهم، فنصر المسلمون أيضاً، ثم ساروا سنة عشرين ومائتين، وأميرهم محمد بن عبد الله إلى قصريانة، فقاتلهم الروم، فانهزموا وأسرت امرأة لبطريقهم وابنه، وغنموا ما كان في عسكرهم وعادوا إلى بلرم

ثم سيّر محمد بن عبد الله عسكراً إلى ناحية طبرمين، عليهم محمد بن سالم، فغنم غنائم كثيرة، ثم عدا عليه بعض عسكره، فقتلوه ولحقوا بالروم، فأرسل زيادة من إفريقية الفضل بن يعقوب عوضاً منه، فسار في سريّة إلى ناحية سرقوسة، فأصابوا غنائم كثيرة وعادوا، ثم سارت سريّة كبيرة فغنمت وعادت، فعرض لهم البطريق ملك الروم بصقلّية وجمع كثير، فتحصنوا من الروم في أرض وعرة وشجر كثيف، فلم يتمكن من قتالهم وواقفهم إلى العصر، فلما رأى أنهم لا يقاتلونهم عاد عنهم فتفرق أصحابه وتركوا التعبية، فلما رأى المسلمون ذلك حملوا عليهم حملة صادقة، فانهزم الروم وطعن البطريق وجرح

(١) فارقوا: غادروا الخيم.
(٢) الهلاك: الموت.

عدة جراحات وسقط عن فرسه، فأتاه حماة أصحابه واستنقذوه جريحاً وحملوه، وغنم المسلمون ما معهم من سلاح ومتاع، ودواب، فكانت وقعة عظيمة.

وسيَّر زيادة الله من إفريقية إلى صقلّية أبا الأغلب إبراهيم بن عبد الله أميراً عليها، فخرج إليها، فوصل إليها منتصف رمضان، فبعث أسطولاً، فلقوا جمعاً للروم في أسطول، فغنم المسلمون ما فيه، فضرب أبو الأغلب رقاب كل من فيه، وبعث أسطولاً آخر إلى قوصرة، فظفر بحراقة فيها رجال من الروم، ورجل متنصر من أهل إفريقية، فأتي بهم فضرب رقابهم، وسارت سريّة أخرى إلى جبل النار والحصون التي في تلك الناحية، فأحرقوا الزرع وغنموا وأكثروا القتل

ثم سيّر أبو الأغلب سنة إحدى وعشرين ومائتين سرية إلى جبل النار أيضاً، فغنموا غنائم عظيمة؛ حتى بيع الرقيق بأبخس الأثمان، وعادوا سالمين

وفيها: جهّز أسطولاً فساروا نحو الجزائر فغنموا غنائم عظيمة ، وفتحوا مدناً ومعاقل وعادوا سالمين.

وفيها: سيّر أبو الأغلب أيضاً سرية إلى قسطلياسة، فغنموا وسبوا، ولقيهم العدو، فكانت بينهم حرب استظهر فيها الروم، وسيّر سريّة إلى مدينة قصريانة، فخرج إليهم العدو، فاقتتلوا فانهزم المسلمون، وأصيب منهم جماعة، ثم كانت وقعة أخرى بين الروم والمسلمين، فانهزم الروم وغنم المسلمون منهم تسعة مراكب كبار برجالها وشلندس.

فلما جاء الشتاء وأظلم الليل رأى رجل من المسلمين غفلة من أهل قصريانة، فقرب منه ورأى طريقاً فدخل منه، ولم يعلم به أحد، ثم انصرف إلى العسكر فأخبرهم، فجاؤوا معه، فدخلوا من ذلك الموضع وكبروا، وملكوا ربضه، وتحصن المشركون/ منهم بحصنه، فطلبوا الأمان، فأمنوهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة، وعادوا إلى بلرم. ج٥/١٨٨/ط

وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وصل كثير من الروم في البحر إلى صقلية ـ وكان المسلمون قد حاصروا جُفْلوذى وقد طال حصارها ـ فلما وصل الروم رحل المسلمون عنها، وجرى بينهم وبين الروم الواصلين حروب كثيرة، ثم وصل الخبر بوفاة زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية، فوهن المسلمون، ثم تشجعوا، وضبطوا أنفسهم.

سرقوسة: بسين مفتوحة وقاف، وواو وسين ثانية. **وبلرم**: بفتح الباء الموحدة واللام وتسكين الراء وبعدها ميم. **وميناو**: بميم وياء تحتها نقطتان، ونون وبعد الألف

واو. **وجرجنت**: بجيم وراء وجيم ثانية مفتوحة، وتاء فوقها نقطتان. **وقصريانة**: بالقاف والصاد المهملة، والراء والياء تحتها نقطتان، وبعد الألف نون مشددة وهاء.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة مات: محمد بن محمد صاحب أبي السرايا.

وفيها أصاب أهل خراسان، وأصبهان، والري مجاعة شديدة وكثر الموت فيهم.

وحج بالناس هذه السنة: إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس[1].

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٥٥٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ١٠٠)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٨٦)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ٤٠٤).